Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 10 | Page 520 – 544 |2025 https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

Theoretical and Philosophical Foundations of the Concept of Communicative Action in Jürgen Habermas' Thought

Amani Abdullah Mohammed Al-Yemeni[1,*]
[1]Department of Philosophy -Faculty of Arts and Human Sciences - Sana'a University, Sana'a, Yemen.
***Corresponding author:** *Amanyalyemeni2018@gmail.com*

Keywords

1. Habermas
2. Communicative Action
3. Communicative Rationality
4. Lifeworld
5. pragmatics

Abstract:

This study explores the theoretical and philosophical foundations of the concept of communicative action in the thought of Jürgen Habermas. It presents communicative action as a philosophical project aimed at addressing the crises of instrumental reason in modern societies. Habermas highlights the central role of language in achieving mutual understanding and promotes a communicative rationality based on dialogue and intersubjective participation rather than control or utility. The research focuses on major themes such as a relation between communicative action and pragmatics, the rationalization of action, the role of understanding, and the concept of the "lifeworld" as a framework for interaction. It also examines the philosophical and linguistic backgrounds that influenced the development of this concept, particularly speech act theory and universal pragmatics. The study concludes that Habermas' project aims to rebuild the relationship between philosophy and society through communicative reason, enhancing democratic values and restore consideration to the human and social dimensions of philosophy through rational public discourse

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 10 | Page 521– 544 | 2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

الأسس النظرية والفلسفية لمفهوم الفعل التواصلي عند هابرماس

أماني عبدالله محمد اليمني [1]*،

[1]قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.

المؤلف: *Amanyalyemeni2018@gmail.comm*

الكلمات المفتاحية

1. هابرماس
2. الفعل التواصلي
3. العقلانية التواصلية
4. العالم المعيش
5. التداولية

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة الأسس النظرية والفلسفية لمفهوم الفعل التواصلي في فكر يورغن هابرماس، باعتباره مشروعًا فلسفيًّا يستهدف تجاوز أزمات العقل الأداتي في المجتمعات الحديثة. ينطلق هابرماس من مركزية اللغة في تحقيق الفهم المتبادل بين الذوات، ويؤسس لرؤية تواصلية تقوم على العقلانية الحوارية بدلًا من السيطرة أو المصلحة. يتناول البحث محاور رئيسة: العلاقة بين الفعل التواصلي والنظرية التداولية للغة، وعقلنة الفعل، ودور التفاهم، والعالم المعيش كإطار تفاعلي، إضافة إلى التمييز بين الفعل التواصلي والفعل الاستراتيجي. كما يرصد الخلفيات الفلسفية واللغوية التي أثرت في بناء هذا المفهوم، خاصة نظرية أفعال الكلام والتداولية الكونية. ويخلص البحث إلى أن مشروع هابرماس يمثل محاولة لإعادة تأسيس العلاقة بين الفلسفة والمجتمع على أساس العقل التواصلي، الذي يعزز الديمقراطية، ويعيد الاعتبار للبعد الإنساني والاجتماعي في الفلسفة، من خلال تفعيل التواصل كأداة لفهم الواقع، وتحقيق التفاهم ضمن الفضاء العمومي المعاصر.

المقدمة:

شهد الفكر الفلسفي المعاصر تحولات جذرية في طريقة مقاربة مفاهيم العقل واللغة والمجتمع، لاسيما في ظل نقد الحداثة الغربية وأزماتها المعرفية والأخلاقية، وقد كان من أبرز المفكرين الذين سعوا إلى تجاوز هذه الأزمات الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس ، الذي اقترح مشروعًا فكريًّا متكاملًا تمثل في "نظرية الفعل التواصلي"، التي سعى من خلالها إلى إعادة تأسيس العقلانية الحديثة على أسس تواصلية تتجاوز النزعة الأداتية التي حكمت أنماط التفكير والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم المعاصر.

وتنبع أهمية هذه الدراسة بوصفها تتناول أهم المفاهيم الجوهرية في فكر هابرماس، وهو "الفعل التواصلي"، الذي يشكل ركيزة أساسية في مشروع هذا العالم؛ حيث قام بإعادة بناء العقلانية الحديثة على أسس تواصلية، أضف إلى ذلك أن هذا الموضوع يسلط الضوء على الإمكانات النظرية والعملية للتواصل الفلسفي في تجاوزه النزعة الأدائية، وتعزيز القيَّم الديمقراطية، وفتح المجال أمام نماذج عقلانية تشاركية قائمة على الفهم المتبادل داخل الفضاء العمومي. كما تسهم هذه الدراسة في تجديد المقاربة الفلسفية لمسائل اللغة، والعقل، والمجتمع، من خلال قراءة نقدية تحليلية لأحد أبرز مشاريع الفكر المعاصر.

أهداف الدراسة:

1- تحليل الأسس النظرية والفلسفية التي يقوم عليها مفهوم الفعل التواصلي في فكر هابرماس.

2- توضيح كيفية إسهام اللغة والعقلانية التواصلية في بناء مشروع هابرماس الفلسفي.

3- إبراز التمييز بين الفعل التواصلي والفعل الاستراتيجي، ودلالاته الاجتماعية والسياسية.

4- توضيح أثر الفعل التواصلي في إعادة بناء العلاقة بين الفلسفة والمجتمع، وتعزيز المجال العام والديمقراطية التشاركية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة هذه الدراسة في السعي إلى فهم الكيفية التي حاول بها هابرماس تجاوز أزمة العقل الأدائي التي وسمت الحداثة الغربية، عن طريق تأسيس مفهوم الفعل التواصلي على أسس فلسفية ولغوية وسوسيولوجية. ويسعى البحث إلى الكشف عن مدى قدرة هذا المفهوم على تقديم عقلانية بديلة قائمة على التفاهم والحوار والمشاركة الحرة بين الأفراد بدلًا من السيطرة والنفعيَّة.

ويمكننا صياغة هذه المشكلة في السؤال الآتي:

ما الأسس النظرية والفلسفية التي يقوم عليها مفهوم الفعل التواصلي في فكر هابرماس؟ وكيف يسعى هذا المفهوم إلى تجاوز هيمنة العقل الأدائي وبناء عقلانية تواصلية بديلة؟

ويتفرع عن هذه السؤال عدد من الأسئلة الفرعية، هي:

- ما الدور الذي تؤديه اللغة والنظرية التداولية في تأسيس الفعل التواصلي؟
- كيف يتمثل الفهم التواصلي في العالم المعيش؟
- ما الفرق بين الفعل التواصلي والفعل الاستراتيجي؟ وما أثر هذا التمييز على النظرية الاجتماعية والسياسية؟

ونشير إلى أن هذه الدراسة تعتمد على المنهج التحليلي النقدي، وذلك بتتبع المفاهيم الأساسية في مشروع هابرماس، وتحليلها فلسفيًّا وسوسيولوجيًّا ضمن سياقها المعرفي. كما تفيد هذه الدراسة من المقارنة بين هابرماس وعدد من المفكرين المعاصرين الذين ساهموا في بلورة نظرية أفعال الكلام والتداولية. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى خمسة محاور رئيسة، هي:

1- اللغة والنظرية التداولية: عرض لدور اللغة بوصفها نظامًا دلاليًا تواصليًا من جهة، وتحليل نظرية أفعال الكلام في بناء مفهوم الفعل التواصلي من جهة أخرى.
2- عقلنة الفعل التواصلي: تفسير كيفية نشوء عقلانية تواصلية في مقابل العقل الأدائي، ودورها في ضبط التفاعل الاجتماعي.
3- التفاهم أساسًا للتواصل: مناقشة فكرة التفاهم بوصفها جوهر الفعل التواصلي، وشروطه التداولية.
4- العالم المعيش: تحليل العالم المعيش بوصفه إطارًا مفاهيميًا للفعل التواصلي ومصدر للمعنى والتفاعل الاجتماعي.
5- مستويات النشاط التواصلي: التمييز بين الفعل التواصلي والفعل الاستراتيجي، وبيان أثره في النظام والمجال العام.

وتخلص هذه الدراسة إلى تقديم رؤية فلسفية تحليلية لمشروع هابرماس، عن طريق الكشف عن الأسس التي يقوم عليها الفعل التواصلي وأبعاده المعرفية والأخلاقية والاجتماعية، بما يسهم في توسيع الفهم المعاصر للعقلانية، والدور الحيوي للتواصل في بناء المجتمعات الحديثة.

اللغة والنظرية التداولية:

أصبحت اللغة في الفلسفة المعاصرة محور اهتمام رئيس لدى فلاسفة المدرسة التحليلية(*) في أكسفورد وكامبريدج، وامتد تأثيرها إلى تيارات فلسفية متعددة، أبرزها الفلسفة الوجودية(*) و الهرمينوطيقا(*)، وقد لعب كلٌ من: مارتن هيدجر(*) وهانز جورج جادامر(*) دورًا جوهريًا، حيث برزت اللغة لديهم وسيطًا أساسيًا للفهم البشري، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل أو أداة لتبادل المعلومات، بل هي شرط أساس يمكن الإنسان من تشكيل إدراكه للعالم، وفهمه للذات والآخر.(1)

لقد أدرك هابرماس أهمية اللغة، فجعلها محورًا لنظريته في الفعل التواصلي، إذ اعتبرها الأساس الذي يبنى عليه أي تواصل عقلاني بين الأفراد، فاللغة، وفقًا له، هي الأداة التي تفعِّل النشاط التواصلي، وتتيح إمكانية التفاهم الجماعي، فلا يمكن لأي مشروع

(*) الفلسفة التحليلية: هي تيار فلسفي يهتم بتحليل اللغة والمفاهيم، واستخدام المنطق؛ لفهم المشكلات الفلسفية، وقد نشأت في أوائل القرن العشرين مع أعمال راسل وفدجنشتين، وتركز على الوضوح والدقة في التعبير مع اهتمام خاص بفلسفة اللغة، والعلم، والعقل.

(*) الوجودية: هي تيار فلسفي يركز على الفرد وحريته، ووجوده في عالم بلا معنى مسبق، ترى أن الإنسان مسؤول عن خلق قيمه ومعناه الخاص من خلال اختياراته وأفعاله، وأبرز مفكريها سارتر وهيدجر.

(*) الهرمينوطيقا: هي المدرسة الفلسفية التي تشير لتطور دراسة نظريات فهم النصوص وتفسيرها في فقه اللغة واللاهوت والنقد الأدبي.

(*) مارتن هيدجر: فيلسوف ألماني، وأحد أهم فلاسفة القرن العشرين، اشتهر بعمله في الكينونة والزمان، حيث قدم تحليلاً وجوديًّا للإنسان، وسعى لاستعادة السؤال عن معنى الكينونة في الفلسفة الغربية.

(*) جادامر: فيلسوف ألماني، ومؤسس التأويلية الفلسفية الحديثة، اشتهر بكتابه "الحقيقة والمنهج" الذي قدم فيه رؤية عميقة حول فهم النصوص وتأويلها بوصفها عملية ديناميكية قائمة على الحوار بين الماضي والحاضر.

(1)أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2012م، ص 145.

يسعى إلى تأسيس مجتمع عقلاني جديد أن يتجاهل دور اللغة، بوصفها تشكل الوسيط الأساسي الذي تُمَارس بواسطته عمليات النقد، وتبنى عن طريقه علاقات اجتماعية قائمة على الحوار والتفاهم.

في هذا السياق، يبرز هابرماس مفهوم "المنعطف اللغوي" الذي يشكل أحد المحاور الأساسية من فلسفته، كما يعكس هذا المنعطف انتقال التركيز إلى اللغة بوصفها إطارًا تُمَارس فيه عملية التفاهم بين الأفراد، ويؤكد هابرماس أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل الأفكار، بل هي الفضاء الذي تتجسد فيه عقلانية الأفراد بواسطة الحوار، مما يجعلها مركزية لفهم الفعل الاجتماعي.

وقد ارتبطت نظرية الفعل التواصلي بعدد من النظريات منها "النظرية التداولية للغة"، التي تعترف بدورها الفعَّال في تحقيق التفاهم المشترك، فاللغة وفقًا لهابرماس تعد وسيطًا لتحقيق تواصل غير مشوه قائم على أسس منطقية وعقلانية، بعيدًا عن القسر أو الهيمنة، ومن ثَمَّ فهي تسهم في بناء فضاء مشترك يتم من خلاله التعبير عن الآراء، والتوصل إلى تفاهمات تسهم في تعزيز القيم الديمقراطية.(2)

وعلى هذا الأساس تبرز أهمية اللغة بوصفها وسيطًا فعَّالًا للتفاهم الاجتماعي مما يثير السؤال الآتي: **كيف يمكن للغة أن تكون أداة لتحقيق التواصل العقلاني الذي يسعى هابرماس إلى ترسيخه؟**

وإجابة هذا السؤال نجدها في نظرية هابرماس أثناء حديثه عن اللغة المعروفة بـ "نظرية الفعل التواصلي"، حيث عدَّها بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية تسعى إلى إحداث قطيعة للأطروحات التقليدية التي ركزت على الوعي الفردي والفعل بمعزل عن السياق الاجتماعي، باعتبار أن هذه النظرية قد اهتمت بالتفاعل والتفاهم السليمين بين الذوات البشرية، مما يعكس تحولاً نوعيًّا في دراسة العلوم الاجتماعية(3).

فيُلاحظ أن هابرماس قد سعى من خلال هذه النظرية إلى تجاوز فلسفات الذات والوعي التي تمركزت حول العقل الفردي المنعزل، مستبدلاً إياها بنموذج يهتم بالتفاهم العقلاني بين الأفراد، حيث قال في نقده لفلسفة الوعي: "ما أنهك هو نموذج فلسفة الوعي، ولئن كان الأمر كذلك، فلا بد أن تختفي أعراض الانتهاك فعلاً بالانتقال إلى نموذج التفاهم البناء" (4).

فيشدد هابرماس على ضرورة التمييز بين فلسفة الذات وفلسفة العقل، إذ تتمحور الأولى حول الذات الفردية بمعزل عن الآخرين، بينما ترتبط الثانية بجميع الذوات في سياق تواصلي شامل، وبهذا تصبح اللغة أداة معرفية تجمع بين الأفراد، وتشكل الأساس الذي تُبنى عليه مفاهيم الحوار والتفاهم في المجتمع الحديث.

وبهذا فاللغة بوصفها أداة للفعل التواصلي تلعب دورًا جوهريًّا في نظرية هابرماس، حيث تعد الوسيط الأساس الذي يربط بين الذوات، ويرى هابرماس أن قدرة الأفراد على التواصل تعتمد على بنية وقواعد متأصلة في اللغة التي يتعلمها ويتحدث

(2) يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، تر: فريد الزاهي، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2006، ج1، ص98.

(3)الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، دار الطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2005م، ص209.

(4) يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق1995م.، ص 454.

بها الجميع، مما يجعل التجربة التفاعلية أعمق من مجرد إنتاج جمل ذات قواعد، فاللغة ليست مجرد نظام رمزي من إشارات ذات تركيب نحوي أو خصائص دلالية، بل هي أفعال وإجراءات، وأداة عملية تعبر عن خصائصها التداولية[5].

فهابرماس يؤكد على أهمية النظر إلى اللغة من حيث الاستعمال، وليس فقط من حيث البنية أو المعنى، وهو بذلك يسير على خُطى الفيلسوف فدجنشتين(*) الذي صرح بأن: "اللغة ليست بنية أو معنى بل هي استعمال" (6).

بما سبق يتضح أن هامرماس يضع اللغة في صميم نظريته أداة للتفاهم بين الأفراد، لا مجرد نسق رمزي، وهو بذلك ينطلق من مسلمة رئيسة مأخوذة من فلسفة اللغة التحليلية، مفادها: أن اللغة لا ينبغي اختزالها إلى أداة للتعبير أو الوصف فحسب، بل أن الملفوظات التي ينطق بها الإنسان تحمل أفعالًا تتجاوز المعاني السطحية التي اهتمت بها النظريات التقليدية.

وبذلك يصبح القول عند هابرماس فعلًا ينجز شيئًا، مما يعكس الطبيعة الديناميكية للغة بوصفها أداة تواصل فعالة لتحقيق التفاهم العقلاني في المجتمع.

من جانب آخر يُلاحظ أن هابرماس قد أشار في مقالته الشهيرة: "ماذا يُعني بالتداولية الكونية؟" إلى أن الحديث عن اللغة يجب أن يتجاوز الأبعاد الشكلية مثل الصوت، والتركيب، والدلالة، والتركيز على مفهوم جديد هو: التداولية(*)Pragmati، وهذه النقلة بزعمه، تتطلب الانتقال من دراسة الكفاءة اللغوية إلى دراسة الكفاءة التواصلية (7) وهو ما يعني أن النشاط اللغوي لا يقتصر على تحليل اللغة بوصفه موضوعًا منفصلًا فقط، بل ينظر إليها بوصفها وسيلة لإنتاج الفعل التواصلي ذاته "فالفعل يفرض نفسه نوعًا من التداخل بين الذوات الفاعلة، وهذا يتم من خلال المشاركة في التواصل معبر عنه بواسطة اللغة"(8).

وبناء على ذلك، يرى هابرماس أنه لا يكفي أن تكون العبارات اللغوية صحيحة من الناحية النحوية أو الدلالية، بل يجب أن تكون قادرة على أن تُترجَم إلى أفعال ملموسة في الحياة اليومية؛ أي أن الفعل التواصلي يُعد تفاعلًا حيًّا بين الذوات، ويتجسد من خلال المشاركة الفعَّالة في التواصل عبر اللغة. بمعنى آخر، لا تتحقق العملية التواصلية إلا عندما تصبح اللغة وسيلة للاتصال الفعلي بين الأفراد، حيث يعبر

(5)أوديته سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس، مذكرة ماجستير إشراف، لخضير مذبوح، جامعة منتوري، الجزائر، السنة الجامعية 2008 –2009، ص 36.

(*) لودفيغ فدجنشتين: أحد أكبر فلاسفة القرن العشرين، وقد عمل في المقام الأول في أسس المنطق والفلسفة الرياضية، كان لأفكاره أثرًا كبيرًا على كل من الوضعية المنطقية وفلسفة التحليل، وأحدثت كتاباته ثورة في الفلسفة ما بعد العربين، وقد تميز بأفكار عدة، منها: "الألعاب اللغوية"

(6) أوديته سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس ،المرجع السابق، ص36.

(*) التداولية: هي فرع من علم اللغة يركز على دراسة كيفية استخدام اللغة في السياقات المختلفة، وكيف يؤثر السياق على معنى الكلام، وتهتم التداولية بالمعاني الضمنية، والمقاصد التواصلية، والعلاقات بين المتحدثين مثل الأفعال الكلامية، والافتراضات، والتلميحات.

(7) حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي الغربي، المغرب، ط (1)، 2005م، ص 127.

(8)Jurgen Habermas: Le discours philosophique de la modemite Douze ConferencesTraduit Par christain bouchindhome, et rainer rochiltz, Paris, Editions galimard, 1988, p 416.

كل منهم عن مقاصده وآرائه ضمن إطار متبادل من الفهم والتفاهم.

وهذه الفكرة تُظهِر أن الفعل التواصلي ليس مجرد تبادل معلومات أو جمل صحيحة، بل هو عملية ديناميكية تتطلب من الأفراد التفاعل والتأثير المتبادل عبر اللغة، وهكذا يصبح الفهم والتفاهم عنصرًا أساسًا في النشاط التواصلي الذي يسعى هابرماس إلى تفسيره في إطار نظرية الفعل التواصلي.

وكما هو معروف فإن كلًا من هابرماس وتشومسكي(*) قد تناولا النشاط اللغوي من منظورين مختلفين، إذ يرى تشومسكي أن اللغة كيان مستقل بذاته، مركزًا على الجوانب الشكلية للغة من خلال الفصل الصارم بين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي، فالكفاءة عند تشومسكي تمثل المعرفة النظرية الكاملة للمتكلم باللغة وقواعدها، في حين أن الأداء هو الاستخدام الفعلي للغة، الذي قد يكون مليئًا بالأخطاء نتيجة التأثيرات النفسية أو البيئية؛ لذا ينصب اهتمامه على مفهوم "المتكلم المثالي"، الذي يمتلك معرفة لغوية كاملة مع تجاهله نسبيًّا لاستخدام اللغة في سياقات التواصل الواقعي.[9]

بينما، ينطلق هابرماس من منظور مغاير تمامًا، حيث لا يقتصر اهتمامه على الكفاءة اللغوية فحسب، بل يركز على الأداء التواصلي جوهرًا لنشاط اللغة، الأمر الذي يعني أن اللغة بالنسبة لهابرماس، ليست نظامًا نحويًّا أو دلاليًّا، بل هي وسيلة تفاعلية لخلق التواصل وتحقيق الفهم المتبادل بين الذوات؛ أي أن هدفه يتجاوز دراسة اللغة بوصفها بنية مستقلة إلى تحليلها بوصفها أداة فاعلة في السياقات الاجتماعية.

من هذا المنطلق، يطور هابرماس "مفهوم المتكلم المثالي التواصلي"، وهو الفرد القادر على استخدام اللغة ضمن إطار تواصلي يسعى إلى تحقيق التفاهم مع التزامه بشروط صدق الخطاب، ووضوح المقاصد وشرعية التعبير، وهذه الرؤية، في تقديرنا، تعكس بوضوح مفهوم اللغة عند هابرماس بأنها لا تُفهَم بمعزل عن التفاعل الاجتماعي، وإنما بوصفها أداة لبناء علاقات قائمة على التفاهم والاحترام المتبادل.

من هنا يعيد هابرماس تعريف وظيفة اللغة بالتركيز على بعدها التداولي والتواصلي، فاللغة أداة اجتماعية تهدف إلى بناء العلاقات وتحقيق الفهم المشترك، مما يجعلها عنصرًا محوريًّا في نظريته عن الفعل التواصلي، في حين ينظر تشومسكي إلى اللغة بوصفها بنية مستقلة تهدف إلى توليد الكلام.

ومن الممكن القول هنا: إن هابرماس قد طور نظريته اعتمادًا على أفكار التداولية الحوارية "المحادثة" لبول غرايس(*)، حيث أظهرهابرماس رفضه للحجج التأسيسية التقليدية، وركز بدلاً من ذلك على الخلفيات المعرفية للمتكلمين، معتبرًا أن فاعلية التواصل تعتمد على امتلاك المتحاورين هذه الخلفيات، وقدرتهم على تقديم استدلالات عقلانية سليمة.[10]

(*) أفرام نعوم تشومسكي: فيلسوف، ولغوي، وصحفي ، وكاتب سياسي، وناقد إعلامي، وهو فيلسوف أمريكي، أستاذ في اللسانيات، كتب عن الحروب السياسية، ومؤلف لأكثر منمائة كتاب، يوصف بأنه أب علم اللسانيات الحديثة، وشخصية رئيسة في الفلسفة التحليلية، ويعود له تأسيس نظرية النحو التوليدي، والتي كثيرًا ما تعتبر أهم إسهام في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين.

(9)أودينه سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس، مرجع سابق، ص35.

(*) بول غرايس: فيلسوف لغوي بريطاني اشتهر بإسهاماته في فلسفة اللغة وعلم الدلالة، خاصة نظريته عن مبدأ التعاون ومبادئه الحوارية التي توضح كيفية فهم المعاني الضمنية في التواصل.

(10)يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، مصدر سابق، ص102.

ومن المهم الإشارة إلى أن اهتمام هابرماس باللغة لا يقتصر على مستواها الشكلي أو الرمزي، بل عبر التركيز على اللغة من منظور تداولي تفاعلي، يتضح هذا في قوله: "إن البنى الكلية للخطاب يجب أن تدرس أولاً وقبل كل شيء من جانب مسألة التفاهم (11)، وبذلك تصبح الكفاءة اللغوية، وفق تصوره، كفاءة تواصلية تتمثل في قدرة الفرد على استعمال اللغة استعمالاً يحقق الفهم المشترك داخل سياق اجتماعي.

وهذا يؤكد أن فلسفة اللغة عند هابرماس تعد الأساس الذي قامت عليه نظريته، وهو ما صرح عنه بقوله: "أنا مدين لكل من النزعات التداولية والتحليلية للنظرية اللغوية، فإن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي"(12).

فلا شك أن هابرماس قد استند في تطوير نظريته عن الفعل التواصلي إلى أفكار مستمدة من نظرية أفعال الكلام وعلم اللغة الاجتماعي، وأكد على أن "مفهوم الفعل التواصلي يفترض اللغة بوصفها الوسط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم، ومن خلاله يستطيع المشاركون في التفاعل أن يثيروا مزاعم الصدق التي يمكن الاتفاق عليها أو الاختلاف حولها"(13).

يُضاف إلى ذلك أفكار جون أوستين(*) في ما يتصل بتعدد وظائف اللغة، حيث انتهى إلى أن اللغة لا تقتصر على الوظيفة الوصفية فحسب، بل قد تؤدي أيضًا دورًا في تقديم الأدلة والإثبات وإثباتها، يقول أوستين في هذا السياق: "يجب أن تكون أفعال الكلام فعالة، وتحقق شروطًا يجب أن تكون كافية، ويجب أن نكون قادرين على تبني العبارة في إطار التصرفات المعلمة" (14).

ويقابل ذلك كله ما أورده هابرماس عن اللغة بأنها تتأسس من خلال الحديث المتبادل بين الأفراد، وهو حديث يتصل بالعالم المعيش، ويتفاعل مع رغباتهم ومشاعرهم ومقاصدهم الإنسانية، وبهذا التفاعل تنشأ اللغة بوصفها كيانًا حيًا يتجاوز الاستخدام الفردي إلى بناء تواصل مجتمعي شامل، وهنا تتجلى العلاقة المتكاملة بين نظرية أفعال الكلام ونظرية الفعل التواصلي.(15)

بمعنى أن التواصل عند هابرماس يتحقق عبر اللغة اليومية العادية، التي يصفها بأنها "نظام من القواعد يُمكِّن من خلاله توليد التعبيرات، بحيث يُعد كل تعبير مصاغ بشكل صحيح عنصرًا من عناصر اللغة، ومن ثمة، فإن الذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل؛ لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عليها" (16).

فاللغة اليومية تعد أقوى وسيلة لإحداث تأثير داخل آليات التواصل، وذلك لاعتمادها على "قوة التعبير المباشر، وتستند إلى جانب الماورائية القيمية

(11) Jurgen Habermas: logique des Sciences Sociales et Dutres essais Trad. Rainer Rochlitz, Puf Géme edition, Paris, 1998, P. 358.

12) (Ibid. P. 17.

(13) عطيات أبو السعود، حصاد الفلسفة للقرن العشرين، بحوث فلسفية أخرى، منشأة المعارف، مصر، 2022م، ص 105.

(*) جون أوستين: فيلسوف بريطاني معاصر، اهتم بفلسفة اللغة، ويعد الممثل الرئيس لفلسفة اللغة العادية، وتندرج أعماله ضمن تيار الفلسفة التحليلة، وقد لعبت مقاربته دورًا حاسمًا في تاريخ النظريات اللغوية.

(14) أوديته سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس، مرجع سابق، ص 46.

(15) أوديته سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس ، مرجع سابق، ص 36.

(16) Jurgen Habermas: logique des Sciences Sociales autres essais, Ibid,Op. Cit., P. 289.

والنمطية العائدة لهيكلة الجماعة واستمراريتها" (17)، وهي كما يوضح هابرماس ليست مجرد أداة للتعبير، بل هي: "بنية تساعد داخل علاقة حوارية على التعبير عن الفرد من خلال المقولات العامة، ...، والتي تقوم بوظيفة التنظيم المنهجي للتجربة التواصلية اليومية للتفهم مع الذات ومع الآخرين" (18).

بما سبق يتضح أن اللغة لدى هابرماس تحمل طابعًا اجتماعيًّا يتجاوز الفروقات الثقافية والاجتماعية، مما يجعلها أداة أساسية للتفاهم والتفاعل الإنساني، هذه الرؤية تتناغم مع مفهوم اللغة العادية عند فدجنشتين، الذي يؤكد أن وظيفتها الأساسية تكمن في تعزيز التواصل والتفاهم مع الآخرين ومحاولة التأثير فيه.

وبذلك يمتاز مفهوم الفعل التواصلي عند هابرماس بكونه فعلًا وصفيًّا، نظرًا لاعتماده على اللغة اليومية العادية، كما أنه يُعد مبدأ معياريًّا يشكل نموذجًا للمجتمعات الديمقراطية، ويرى هابرماس في الفعل التواصلي أساسًا تعتمد عليه العلاقات الاجتماعية، مستندًا إلى منجزات نظرية أفعال الكلام التي وضع قواعدها أوستين وسيرل، وفي هذا السياق يبرز هابرماس الجانب التداولي مع تفاعلات الأفراد داخل الجماعات سواء كانت خاصة أم كانت عامة، مؤكدًا على الطابع الوظيفي أو الاتفاقي لقواعد اللغة التي تُسهِل تحقيق الفعل التواصلي.(19)

وانطلاقًا من نظريته حول التداولية الكلية العامة(*)، يشير هابرماس إلى ضرورة العودة إلى الجذور الأساسية لنظرية البراجماتيقا العامة، التي تعد أحد الأسس المهمة في تطوير رؤيته عن الفعل التواصلي، حيث تصبح اللغة وسيلة لتحقيق التفاهم وإرساء أسس الحياة الاجتماعية المشتركة التي تتمثل في الآتي:

1) نظرية استخدام اللغة:

تتجلى الأداة الأولى في نظرية استخدام اللغة، في تركزها على الطرق التي تُستخدَم بها التعبيرات والجمل والكلمات في الحياة اليومية، وتمتد جذور هذه النظرية إلى فلسفة اللغة عند فدجنشتين الذي يرى أن اللغة نشاط يعتمد على استخدام الكلمات بوصفها أدوات، ولكل كلمة معنى يرتبط باستخدامها؛ أي أن فهم الإنسان للاستخدامات المختلفة للألفاظ تعني فهمه للقواعد التي تحكم أي لعبة، فاللغة بالنسبة له أشبه بلعبة تستخدم في حياتنا اليومية، لذا فإن الكلمة ليست ذات معنى واحد، بل تحمل معاني متعددة بحسب استخدامها(20).

وعلى هذا الأساس، يرى هابرماس أن السؤال الأهم ليس عن معنى اللغة، بل عن كيفية استخدامها، وقد سار عديد من الفلاسفة على نهجه في نظريته الجديدة حول اللغة، من أبرزهم ستراوسون(*)، الذي ميز بين التعبير أو الجملة واستخدامهما، ورايل(*) الذي يرى أن فهم كلمة أو عبارة يكمن في معرفة كيفية استخدامها(21). ومن بين الفلاسفة

(17) Ibid, P. 332.

(18) مطاع الصفدي، مغامرة الاختلاف الحادثة (2): التداولي، التواصلي من الفكر العربي المعاصر، مجلة شهرية، تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، العدد 46، 1987م، ص 14.

(19) الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي)، مرجع سابق، ص 212.

(20) محمود سيد أحمد، البراجماتيقا عند هابرماس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص 9.

(*) بيتر ستراوسون: فيلسوف بريطاني بارز في فلسفة اللغة والعقل، اشتهر بكتاباته عن طبيعة الأفراد والأشياء، وساهم في تطوير فلسفة اللغة العادية، وتحليل البنية المنطقية للغة.

(*) جيلبرت رايل: فيلسوف بريطاني كان من رواد فلسفة العقل، اشتهر بكتابه "مفهوم العقل" الذي انتقد فيه الفكرة الثنائية لديكارت، وطرح مفهوم العقل كوظيفة مترابطة مع السلوك.

(21) محمود سيد أحمد، البراجماتيقا عند هابرماس ، مرجع سابق، ص 13.

الذين اهتموا بأفعال الكلام، برز كل من: أوستين وسيرل ،كما أوضحنا سابقًا، فأوستين قسم أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع، هي: الأفعال الغرضية، والأفعال التعبيرية، والأفعال التأثيرية، بينما اعتبر سيرل اللغة أداة لتأدية أفعال الكلام، جاء هذا في قوله: "إن التواصل اللغوي يتضمن أفعالاً لغوية، فوحدات التواصل اللغوي هي إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة في تأدية أفعال الكلام" [22]، ويرى أن التواصل اللغوي يتطلب بالضرورة أفعالاً لغوية، كما أن المعنى الحقيقي للغة يكمن فيما يمكن قوله، لأن الحديث يتجسد في أداء الأفعال وفقًا لقواعد محدودة.

ويؤكد هابرماس في الإطار نفسه أن محاولات كل من: أوستين وسيرل (*) على وجه الخصوص، تمتلك أهمية خاصة حيث تعد نظريتهما في أفعال الكلام نقطة انتقال واعدة نحو تأسيس براغماتية عامة، ولم يقتصر اهتمام هابرماس على هذين الفيلسوفين فحسب، بل أشار أيضًا إلى إسهامات فلاسفة آخرين، مثل: مورسين، وراسل وغيرهم، وكان هدف هابرماس يتمثل في البحث عن فرضيات عامة للتواصل، أو ما يمكن اعتباره أساسًا لنظريته عن الفعل التواصلي.

2) نظرية القدرة اللغوية:

تعود جذور هذه النظرية إلى نعوم تشومسكي الذي أشار إلى أن الأداء اللغوي يعتمد على قواعد نظرية فطرية لم يتلقها الإنسان بالتعليم المباشر، بل هي جزء من طبيعة الإنسان، يطلق على هذا المفهوم اسم "القدرة اللغوية"، حيث يؤكد تشومسكي أن الإنسان يستخدم قواعد لغته لفهم الجمل أو نطقها دون وعي مباشر بأنه يفعل ذلك مما يجعلها فطرية.

ولا شك في أن هابرماس حاول الإفادة من نظرية تشومسكي حول القدرة اللغوية مع ملاحظة أن هذه النظرية تتسم بطابع مثالي في تصور اللغة، وشدد هابرماس على أن تحقيق الفعل التواصلي لا يقتصر على امتلاك القدرة اللغوية فقط بل يتطلب أيضًا قدرة إضافية تتمثل بالقدرة التواصلية[23]، ويرى الزواوي بغوره أن البراجماتية العامة عند هابرماس تتحدد في النقاط الآتية:

أ) صحة أساس الكلام:

يؤكد هابرماس"أن اللغة والكلام يخضعان للتحليل الصوري، وأن أي شخص يفعل بصورة تواصلية يجب عليه تأدية أي فعل من أفعال الكلام أن يثير دعاوى صحة عامة، أي يجب على المتحدث أن يختار تعبيرًا مفهومًا حتى يفهمه المستمع، وأيضًا يجب أن يكون لديه قصد توصيل قضية صادقة، وأن يكون المتحدث مخلص في حديثه مع اختيار تعبير صحيح"[24]، وذلك من أجل أن يفهم المتلقي أو المستقبل خطاب الباعث أو المرسل، وأن يفترض في خطابه إدارة أو نية طيبة أو خبرة، وأن يقتنع بحقيقة الجمل أو العبارات المقترحة عليه[25].

ب) مفهوم القدرة والأداء:

لقد اهتم هابرماس بدراسة اللغة في بعدها التواصلي، وطوَّر مفهوم الكفاءة اللغوية إلى مفهوم

(22) Scarlc, Speesh Acs, An Essay in the philosophy of language, Comberide Univ. press, 1969, p.p. 16-22.

(*) جون سيرل: فيلسوف ولغوي أمريكي معاصر، أحد أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة المعاصرة، يطمح في مشروعه الفلسفي إلى تصحيح الكثير من المفاهيم التي سيطرت على فلسفة اللغة في القرون الأخيرة، وقد عمل على تطوير نظرية أفعال الكلام المتعلقة بمقاصد المتكلم ودراسة المعنى.

(23) Jurgen Habermas: Communication and the Evolution of Society, Translated by Thomas McCarthy, Boston Univ. press, 1979, P. 17.

(24) محمود سيد أحمد، البراجماتيقا عند هابرماس، مرجع سابق، ص 17-18.

(25)الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص210.

الكفاءة التواصلية، إذ يتطلب من المتحدث بجانب القدرة اللغوية قدرة أخرى هي القدرة التواصلية[26].

ج) الصور المعيارية لفعل الكلام:

يرى هابرماس أن الأساس الذي يركز عليه في استخدام أفعال الكلام هو القدرة المنتجة لأفعال الكلام، ففعل الكلام ينجح إذا حدثت علاقة بين المتحدث والمستمع؛ أي أن فعل الكلام يهدف إلى تأسيس علاقة تواصلية إيجابية بينهما[27]، فالمتحدث –برأيه– "يمكن في تأدية فعل من أفعال الكلام أن يؤثر على المستمع بطريقة تجعله يبني علاقة شخصية معه [28].

د) الكلام المثالي:

يرى هابرماس أن الوقف المثالي للكلام يتميز بعدم وجود مانع، مثل الضغط الذي يمكن أن يكون عائقًا في عملية التواصل، وأن هناك تكافؤ بين الناس المشاركين في الكلام لغرض الاختيار والحديث، فالمساواة في تطبيق أفعال الكلام التواصلية تعني أن جميع الناس المشاركين في الخطاب لديهم فرصًا لتدعيم الحوار[29]؛ أي أن هابرماس يتعامل مع نموذج يكون فيه متكلم وسامع مثاليان في استخدام اللغة[30].

ثانيًا: عقلنة الفعل التواصلي:

من الممكن القول إن العقل في فلسفة هابرماس يتميز بكونه مفهوما تاريخيا متجذرا في الواقع، بخلاف تصورات الفلسفة المثالية الألمانية التي تراه كيانًا مجردًا، ففي كتاب "الفكر ما بعد الميتافيزيقي"، يوضح هابرماس أن العقل "يحقق ذاته في الواقع وعليه يتحول إلى كائن تاريخي من لحم ودم" (31)؛ أي يتحول إلى كائن حي متصل بالسياق الاجتماعي والتاريخي، ومن هذا المنطلق يسعى هابرماس إلى تجاوز فلسفة الوعي التي ركزت على الذاتية الفردية، ليدعو إلى فلسفة التواصل التي تعزز التفاعل والتفاهم الجماعي معتبرًا أن الحقيقة هي مفهوم عابر للذاتية يعتمد على الحوار والاتفاق.

ويرى هابرماس أن العقلنة لا تتحقق إلا بإقصاء كل أشكال الإكراه التي تعيق التواصل الحر، فتصبح الحجج العقلانية الوسيلة الأساس لتحقيق التوافق والتفاهم، وهذا التصور يضعه في موقع ناقد لزملائه من رواد مدرسة فرانكفورت، مثل أدورنو وهوركهايمر الذين ركزوا على جدل التنوير على تشاؤمية العقل وانعكاساته السلبية، ووفقًا لهابرماس، فقد أدى هذا التشاؤم إلى انحراف النظرية النقدية عن مبادئها الأصلية المتمثلة بالديمقراطية والدولة الدستورية مما دفعه لإعادة صياغة هذه المفاهيم من خلال الفعل التواصلي.

وفي تطوير نظريته فقد اعتمد هابرماس على تقنيات متعددة تجمع بين الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة والهرمينوطيقا، كما أفاد من أعمال علماء الاجتماع أمثال: ماكس فيبر، ودوركايم، وبارسونز، الذين يرون بأن العقلانية مرتبطة بعمل المؤسسات

(26)حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص 12.

(27)الزواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 210.

(28) أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص 162.

(29) أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل ، مرجع نفسه، ص 163.

(30)جون نيتشة، خمسون مفكرًا معاصرًا، ترجمة: فاتن البستاني، بيت النهضة، لبنان، 2008م، ص 383.

(31) محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، الدار العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010م، ص34.

الاجتماعية، ولفهم تعقيدات الحياة الاجتماعية يتطلب دمج الفلسفة مع علم الاجتماع.

وقد دعا هابرماس إلى استكمال مشروع الحداثة بإعادة تفعيل دور العقل، وهو بذلك يستلهم فلسفة هيدغر الوجودية التي تركز على الوجود مع الآخرين، ليجعل من فلسفة التواصل وسيلة لفهم الحياة الاجتماعية المعقدة، يُضاف إلى ذلك اعتماده على التحليل الماركسي لفهم البنى الاجتماعية والاقتصادية مع التركيز على التواصل أداة لتحرير الأفراد من القيود التي تفرضها الهياكل السلطوية.

بما سبق يتضح أن عقلنة الفعل التواصلي لدى هابرماس تعد مشروعًا فلسفيًّا شاملًا يهدف إلى تجاوز الإشكاليات التي واجهتها النظرية النقدية التقليدية وذلك بالاعتماد على فلسفة التواصل التي سعى من خلالها إلى تقديم رؤية متجددة للعقلانية، تركز على التفاهم والحوار بوصفه أساسًا في تشكيل مجتمع ديمقراطي يضمن الحرية والعدالة.

وحسب رأي هابرماس فإن أحد الأسباب الرئيسة وراء معارضة الحداثة، هو اعتمادها المفرط على العقل الأدائي الذي أدى إلى الفصل بين مجالات العلم والأخلاق والفن –كما أوضحنا سابقًا– مما أوجد الحاجة إلى إعادة التصحيح والتصويب، الذي يتطلب إدخال عنصر جديد مرتبط بالتواصل التفاعلي بين الأفراد، ويتحقق عبر (التواصل اللغوي الهادف إلى التفاهم المتبادل وفق قواعد أخلاقية تحكم العملية التواصلية حسب معايير متفق عليها ومن خلال هذا نصل إلى العقلانية التواصلية [32]، فيتضح أن هابرماس قدم مفهوم العقلانية التواصلية التي لا تتحقق إلا بإعادة التأهيل والتجديد لدور الفلسفة، وبذلك تتجاوز الفلسفة دورها التقليدي بوصفها مرشدًا للعلوم لتلعب دورًا فعَّالًا في النقاشات بين الفاعلين الاجتماعيين والعلوم المختلفة.

ويقسم هابرماس العقلانية التواصلية إلى قسمين: نشاط عقلي معرفي موجب إلى غاية نافعة، ونشاط عقلي تواصلي تمارسه ذوات فاعلة قادرة على الكلام، فالأول نفعي، والثاني اجتماعي يرمي إلى تحقيق التفاهم بين الذوات، كما أن الأول أداتي، والثاني تواصلي قائم على التعبير اللغوي عكس الأول الذي هو مادي استغلالي أي يشغل المعرفة بوصفها أداة لتحقيق مصلحة معينة[33].

إن مفهوم العقلنة يعني تجاوز أشكال التواصل المشوه بشكل منظم، ويعني "إلغاء علاقات السيطرة المبرمجة بصورة خفية بين التواصل، والتي تمنع الحكم الواعي في النزاعات، وتمنع تسوية توافقية لهذه النزاعات بوضع عراقيل أمام التواصل على المستوى الضمنفسائي، وكذلك على الصعيد الشخصي"[34].

ومن جانب آخر نجد هابرماس أكد في مؤلفه الشهير "المعرفة والمصلحة البشرية" أن المعرفة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنسان من جميع النواحي الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية، وأشار إلى أن المعرفة التحليلية والتجريبية التي يعتقد أنها بعيدة عن الإنسان تعاني انحرافًا عن مسارها، مما يجعلها غير قادرة على

(32) عطيات أبو السعود، نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس، مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، القاهرة، 2004م، ص 319.

(33) Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, Volume (1), Reason and the Rationalization of Society.Translated by Thomas McCarthy.Boston:Press 1984, P: 8.

(34) جان فرانسوا دورتي، فلسفات عصرنا، تر: إبراهيم الصحراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009م ، ص 48.

خدمة الإنسان بشكل حقيقي، كما يرى أن تجاوز هذه الفجوة يتطلب تعزيز التواصل واستخدام اللغة بفاعلية لذا اقترح الانتقال من المصلحة التقنية التي تخدم أهداف ضيقة ومادية إلى المصلحة العملية التي تعزز العلوم التاريخية والتأويلية، ودعا إلى إعادة قراءة النصوص وتيسير عملية الفهم لتحقيق التواصل الإنساني[35].

فالأمر المؤكد أن الفكر الماركسي له تأثيره الكبير على أفكار هابرماس، وهذا أشار إليه بول ريكور (*) في قوله: "رغم إعلانه إعادة بناء الماركسية بطريقته الخاصة، إلا أنه تأثر بشكل كبير بأفكار ماركس حول التمييز بين الفعل الأدائي والفعل التواصلي" [36].

كما تبني هابرماس مفهوم هيجل للعمل والتفاعل بوصفه جزءًا من مشروع العقل التواصلي، فالعمل والتفاعل وفق هيجل يرتبط بتحرر الإنسان مع/من السلطة الطبيعية الداخلية والخارجية مع الحفاظ على العلاقة الجدلية (الديالكتيكية) بينهما، حيث يرى هيجل أن "ديالكتيك الحب والصراع لا يمكن حله بنجاحات الفعل الأداتي، ومأسسة الوعي الماكر، وتدخل نتيجة التحرر من العلم في المعايير التي تعمل تكامليًّا في إطارها" [37].

فيتضح أن هابرماس قد أفاد من التصور الهيجلي، حيث لعب دورًا محوريًّا في البرامج الاجتماعية التواصلية في مشروعه لا سيما في أعماله المتأخرة، ومن هنا يبرز تأثير هيجل بوصفه قاعدة فلسفية أساسية لنظرية هابرماس النقدية والاجتماعية، التي تعتمد على العلاقة الجدلية بين العمل والتفاعل وسيلة لتحرير الفرد والمجتمع من الهيمنة سواء أكانت داخلية أم خارجية.

وفي ما يتعلق بمفهوم العقلنة الذي تشاركه ماركس فيبر وبارسونز(*) فقد حاول هابرماس تجاوز المنطق الذاتي من خلال إعادة صياغة هذا المفهوم بالتمييز بين أنماط الفعل المختلفة، حيث قسم هابرماس الفعل العقلاني إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

1- الفعل العقلاني الهادف الذي يركز على تحقيق الأهداف ضمن شروط محددة.
2- الفعل الأدائي الذي يهدف إلى تنظيم الوسائل وفق معايير تُقيم بناءً على مدى مناسبتها لتحقيق الغايات.
3- الفعل التواصلي الذي يعد رمزية تفاعلية تُبنى على معايير إلزامية تحدد السلوكيات المتبادلة بين الذوات الفاعلة، ويتكون هذا التفاعل "حسب معايير صالحة إلزاميًّا تحدد توقعات سلوكيات متبادلة يجب أن تفهم ويعترف بها من قبل ذاتين فاعلتين على أقل تقدير والمعايير الاجتماعية تزداد قوة من خلال التوافقات، على أن معناها يتموضع عبر اللغة المتداولة في التواصل، في حين تتعلق صلاحية القواعد التقنية والاستراتيجيات بصلاحية القضايا الصحيحة تجريبيًّا أو الدقيقة تحليليًّا، أما صلاحية المعايير

(35) يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة البشرية، تر: فريد الزاهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006م، ص45.

(*) بول ريكور: فيلسوف فرنسي معاصر، اشتهر بأبحاثه الفلسفية في مجال الهرمينوطيقا.

(36) بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليونوجيا، تر: رحيم فلاح، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، 2002م، ص321.

(37) عبدالعزيز العبادي، فلسفة الفعل، دار علاء الدين، صفاقص، 2007م، ص 190.

(*) ثالكوت بارسونز: عالم اجتماعي أمريكي بارز، يعد من مؤسسي السوسيولوجيا الهيكلية الوظيفية، كان له تأثير كبير على فهم الديناميكيات الاجتماعية من خلال مفهوم الأنظمة الاجتماعية، حيث اعتبر المجتمع بنية معقدة تتكون من أجزاء مترابطة تعمل معًا للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي.

الاجتماعية تتأسس فحسب في مشاركة التفاهم حول المقاصد، وتتأكد عبر الاعتراف العام بالالتزامات"[38].

من خلال هذا التحليل يهدف هابرماس إلى التفريق بين عالم الحياة الثقافي الاجتماعي، الذي يمثل الإطار المؤسسي للمجتمع والفعل العقلاني الهادف، مما يمهد لإعادة صياغة مفهوم العقلنة الذي طرحه ماكس فيبر، ويمثل هذا التمييز خطوة محورية في مشروع هابرماس لتأسيس عقلانية جديدة ترتكز على التفاهم والتواصل بدلًا من العقلانية الأدائية التي استحوذت على الحداثة.

وتتمحور العقلانية التي أسس لها هابرماس بعمق في العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع، إذ يُعد هذان المجالان من أكثر الحقول ارتباطًا بالعقلانية، وهو ما ذكره هابرماس في قوله: "على الرغم ما يوحي به العنوان فأنا واعٍ من أنني لم أتمكن من تقديم نظرية متكملة من خلال هذين الجزأين، ومع ذلك أسعى إلى تثبيت العقل النظري الضروري لكل فلسفة ملزمة ببلورة فهم خاص بها يتجاوز الفهم الميتافيزيقي، إذا ما رغبت في إقامة روابط تعاون مع العلوم الاجتماعية بالاستناد إلى قاعدة تقسيم العمل، لذا فإن الرهان بالنسبة لي يكمن في تأسيس مشروع قد يتفرع إلى اتجاهات متعددة إذا ما قبلنا النظر إليه نظرة متفائلة" [39]، يتمثل جوهر علم الاجتماع الناجم عن نظم الدولة والاقتصاد الحديثين، مما جعله علم الأزمات الأول، حيث ينشغل بتحليل الأنظمة الاجتماعية ومتابعة كيفية تشكلها وتطورها وانهيارها.

وهذا الانفتاح على الحقائق الاجتماعية ترجمه هابرماس إلى حوار نقدي مع أبرز النظريات المعاصرة، مثل هيرمنيوطيقا غادامير وعقلنة ماكس فيبر ومفاهيم اللاوعي عند فرويد، وعلى أساس هذا الحوار سعى هابرماس إلى إعادة بناء العقلانية النقدية الحديثة، التي تعد الامتداد الطبيعي لعصر التنوير ولكن بصيغة تفاعلية تقوم على أسس العقل التواصلي.

ووفاءً لأسسه النظرية فقد انطلق هابرماس في مشروع تحليلي لكشف قوانين الواقع الاجتماعي وأطره العقلي/العقلية رابطًا بين النظرية والتاريخ من جهة والعلم والممارسة من جهة أخرى، بهدف تفكيك الإشكاليات الكبرى إلى وحدات أولية تشكل الأساس الضروري لبناء إطار نقدي جديد لنظرية المعرفة المعاصرة(40)، وبذلك فإن العقلانية التواصلية لدى هابرماس "تجعل من العقل والاستنارة الملاذ الأول والأخير"(41).

وإذا ما انتقلنا إلى إصدار آخر لهابرماس هو كتاب "المعرفة والمصلحة" سنجد أنه كان موجهًا بالدرجة الأولى ضد العقلانية الأداتية والنزعة العلمية المتطرفة، وقد أدخل فيه تعديلات جوهرية شملت بعض آرائه في مؤلفاته اللاحقة التي أجرى من خلالها تصحيحات مست مواقفه وأفكاره التي دافع عنها طيلة العقود اللاحقة وهو ما اعترف به بشكل صريح في مناسبات عدة ومن بين أهم ما عدله **هابرماس** بعض

(38)يورغن هابرماس، الحداثة وخطابها السياسي ترجمة: جورج تامر، دار النهار للنشر، بيروت، 2002م، ص 58.

(40) Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, Op. Cit., P.9

(40)عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف، بيروت، 2007م، ص 151.

(41) المرجع نفسه، ص 152.

الأسس التي أشار إليها في مناسبات متعددة، كتخليه عن عدد من المنطلقات التي تبناها سابقًا، واصفًا إياها بالطبيعة التقليدية التي لم تعد تتماشى مع تطور مشروعه الفكري.

وفي عام (1965م) أثناء محاضرته بمناسبة تنصيبه صرَّح هابرماس إلى أهمية اللغة باعتبارها محورًا أساسيًّا لفهم الإنسان والعالم، فقال: "ما يرفعنا عن الطبيعة هو الشيء الوحيد الذي نعزو طبيعته ألا وهو اللغة، فمن خلال بنيتها يتم افتراض الاستقلال الذاتي والمسؤولية لنا، فجملتنا الأولى تعبر بشكل لا يشوبه الالتباس من معنى كلي وغير مقيد، من الاجماع كما أنه صاغ فكرة الاتصال المتحرر من التسلط لجزء هام من النظرية النقدية" (42).

وفيما يتعلق بمفهوم العقلنة، فقد أوضح هابرماس في كتابه "نظرية الفعل التواصلي" أنه يسعى لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسة: أولاً شرح مفهوم العقلانية بصورة شاملة، ثانيًا: دمج هذا المفهوم في سياق إحداث ثورة في المعرفة الحديثة للعالم، ثالثًا: توضيح الترابط المنهجي وما بعد النظري بين العقلانية ونظرية المجتمع.

كما خصص هابرماس الجزء الأول من الكتاب لدراسة نظرية العقلانية عند ماكس فيبر، مستعرضًا تطوراتها وأثرها على مفاهيم مثل "التشيؤ"(*) عند لوكاتس والنقد الذي وجهه هوركهايمر وأدورنو للعقل الأداتي، أما الجزء الثاني من الكتاب فقد ركز على دراسة العقل الوظيفي مستشهدًا بأعمال ميدو دوركايم ثم نظريات بارسونز حول الاتساق، وخلص هابرماس، عبر هذا التحليل، إلى ضرورة صياغة وظيفة جديدة للعقلانية ذات طابع نقدي للمجتمع.

استنادًا إلى ذلك كله دعى هابرماس إلى إعادة النظر في نظريات كل ما بارسونز، فيبر ولوكاتش، حيث صرح بشأن عقلنة ماكس فيبر بقوله: "إن عقلنة ماكس فيبر ليست عملية طويلة المدى لتغير البنى الاجتماعي وحسب، وإنما عقلنة في القت نفسه بالمعنى الفرويدي" (43).

وبقدر ما أعجب هابرماس بنظرية ماكس فيبر في العقلنة إلا أنه سعى إلى إعادة صياغة مفهوم العقلانية الذي قدمه ماكس فيبر، حيث رأى ضرورة دمج مجالات العلم والأخلاق والفن بشكل يتجاوز التقسيمات التقليدية لهذه المجالات.

من خلال هذا الدمج طمح هابرماس إلى تحقيق عقلانية مجتمعية متكاملة لا تقتصر على الجانب المعرفي فقط، بل تشمل الأبعاد الأخلاقية والجمالية، ومن هنا يبرز دور نظرية الفعل التواصلي بوصفها أداة رئيسة في معالجة الأزمات التي نشأت عن عقلانية فيبر، يُضاف إلى ذلك ما أصاب هذه العقلانية من تشوهات نتيجة التفريق بين هذه المجالات إذ يعتقد **هابرماس** أن نجاح أي من هذه المجالات (العلم، الأخلاق، الفن) لا يتحقق إلا من خلال تكاملها وتفاعلها ضمن إطار تواصلي يعزز الفهم المشترك والتفاهم بين الأفراد، وفي ذلك يقول: "أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحداثة

(42) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، مراجعة، محمد حافظ دياب، دار أوروبا للنشر، ط (2)، ليبيا، 1998م، ص112.

(*) التشيؤ: هو عملية تحول العلاقات الاجتماعية بين الناس إلى أشياء أو كيانات مستقلة تُعامل كأنها موجودة بذاتها في المجتمعات الرأسمالية، وتصبح المنتجات أو حتى الأشخاص موضوعات للمعاملة الاقتصادية والتبادل بدلاً من أن ينظر إليهم بوصفهم علاقات اجتماعية حية، ويربط ماركس التشؤ بالتحول الذي يحدث عندما ينظر إلى الإنسان بوصفه أداة أو سلعة في السوق.

(43) يورغن هابرماس، التقنية والعلم كإيدلوجيا، ترجمة: الياس حاجوج، وزارة الثقافة، دمشق، 1999م، ص 81.

باستخدام نظرية تواصلية تملك الدقة التحليلية التي تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يسميها الماركسيون بالتشيؤ.(44)

في نهاية حديثنا عن تطور نظرية العقلانية عند هابرماس، وكيفية تجاوز العقلانية الأداتية لتشكيل عقلانية تواصلية، نجد أنه من الضروري التطرق إلى فكرة التفاهم باعتبارها أساسًا لهذا النوع من التواصل، حيث يعد التفاهم العنصر المركزي الذي يقوم عليه الفعل التواصلي، ويشكل الأساس الذي يضمن تفاعل الأفراد بشكل فاعل ومنتج، ومن أجل استكشاف هذا المفهوم بشكل أعمق لا بد من التركيز على دور التفاهم في بناء التواصل بين الفاعلين الاجتماعيين وتعزيزه.

ثالثًا: التفاهم أساس التواصل:

يبرز التفاهم أساسًا جوهريًا في التواصل، حيث يعد شرطًا ضروريًا للوصول إلى الاتفاق بين الأفراد، ويتطلب التفاهم عند هابرماس وجود وجهات نظر متقاربة بين المشاركين لا متضاربة، جاء ذلك في قوله: "تقوم لغة التواصل عن طريق الفهم المتبادل، وليس فقط نتاج تأثير المتبادل، حيث تلبي افتراضات لبيانات منطقية وذلك لعقلنة المواضيع القابلة للكلام والفعل"(45).

ووفقًا لذلك يتم التواصل عبر الفهم المتبادل الذي يعتمد على الافتراضات المنطقية لتفسير الموضوعات القابلة للنقاش والعمل، فالتفاهم عند هابرماس هو نتيجة اتفاق عقلاني بين الذات القادرة على التعبير والفعل، وهذا الاتفاق يتطلب مجموعة من المراحل، يجب على المستمع فيها فهم التعبير، ثم اتخاذ موقف يتسم بالقبول أو الرفض، وفي النهاية يوجه الاتفاق سلوك الفرد بناءً على المتطلبات المطلوبة. وبذلك يكون التفاهم هو المجال الذي يتم فيه التنسيق بين الأفعال واللغة، ويحدث في إطار قابل للتحليل، ونتيجة لادعاءات صالحة تستند إلى قواعد المعقولية والصدق، وتعتمد على الحجج والبراهين التي تدعم صحتها(46).

نفهم من هذا الطرح أن التفاهم يرتبط بشكل وثيق بترسيخ القواعد المعيارية التي تهدف إلى تحقيق اتفاق بين الأطراف المتحاورة في سياق التفاعل، ويعرف التفاهم بأنه: "عملية إقناع متبادل وتنسيق أطراف متعددة تشارك في بناء التبرير من خلال الحجج المقدمة" (47).

إن تحقيق التفاهم بين الأطراف المشاركة في العملية التواصلية يقوم على حدود التواصل وشروط أساسية لخصها مانفريد فرانك بقوله: إن "تحقيق الاتفاق بين المتحاورين يقتضي تصنيف الأفعال اللغوية الهادفة إلى التفاهم وهي التمثيلية، التعبيرية، التنظيمية" (48)، ويكون الهدف من التفاهم برأي هابرماس هو: "الوصول لنوع من الاتفاق بين الذوات

(44) أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص142.

(46)Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, Op. Cit., P. 97

(46) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط (2)، 1998م، ص 195.

(47) نفس مرجع سابق، ص 212.

(48) كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماركس هوركهايمر إلى اكسيل هونيت، الدار العربية للعلوم، ناشرون دار الأمانة، الرياض، 2010م، ص 119.

المتحاورة"، لأن يمثل "العملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس المفترض لادعاءات الصلاحية المعترف بها باتفاق مشترك"[49].

يتبين من كلام هابرماس السابق أن التفاهم أمر واقعي وليس مجرد افتراض نظري، فهو يحدث بين مجموعة من الأفراد خلال عملية تواصلية تهدف للوصول إلى الفهم المتبادل، أي أن الفعل التواصلي، حسب هابرماس، هو الذي يسعى لتحقيق التفاهم وأي تفاهم لا يقوم إلا عبر التواصل الذي يعتمد على أساس عقلاني.

وفي هذا السياق يستند هابرماس إلى فكرة الاتفاق التي تقوم على أسس عقلانية، حيث يتبنى قناعات مشتركة بين المشاركين في عملية التواصل، ويقتضي ذلك أن يقدم كل طرف وجهات نظره ضمن إطار من المنطق والحجج العقلانية، مما يتيح تحقيق تفاهم مستنير ومقبول بين الأطراف.

وبذلك يمكن القول: إن عملية الاندماج الاجتماعي ضمن إطار العقلانية التواصلية لا تتحقق في مستواها الأمثل إلا عن طريق التفاهم العميق الذي يربط بين مجموعة من الأطراف عبر أفعال لغوية متبادلة.

وبهذا يُفهَم التفاهم بمعناه الأوسع على أنه الوصول إلى فهم بيتذاتي مشترك بين جميع المشاركين في عملية التواصل، مما يعزز من ترابطهم ويسهم في تحقيق أهدافهم المشتركة بأسلوب عقلاني ومنطقي؛ أي "أن التفاهم يكون من خلال الالتزام بالادعاءات الصلاحية، لكي يكون لهم نفس الفرص الحجاجية الإقناعية ما يدفعنا للوصول إلى التفاهم، إذن يتوقف نجاح الفاعلية التواصلية على أن يتوصل المشاركون في اتفاق متبادل من خلال تحديد علاقتهم بالعالم وفق نموذج التفاهم" [50].

بما سبق نجد أن مفهوم التواصل يشير دائمًا إلى ما يفعله المتكلم بواسطة أقواله، حيث يكون الغرض القصدي من التواصل هو المتكلم ذاته، ومن ثَمَّ فإن تحقيق العقلانية يتطلب التفاهم القائم على الذوات المشتركة، لذا يقتضي الأمر استبدال الفعل الاستراتيجي الذي يسعى إلى فرض تفاهم مصطنع لخدمة أغراضه الخاصة عبر تفاهم بيتذاتي حقيقي يرتكز على الاتفاق الحر والمبرر بين الأطراف الفاعلة.

أما بخصوص شروط التواصل والمطالب الأساسية المقترحة لفهم الأقوال والتعابير، فقد حاول هابرماس حصرها في "قابلية التعبير اللغوي للفهم، وحقيقة مضمونه أو صدق محتواه، ومصداقية المقاصد المعبر عنها وإخلاصها والمشروعية للقول أو التعبير، أي المطالبة بأن يكون صحيحًا أو ملائمًا بنظر أي علاقاته بمضمون قيمي أو معياري يقر به المتكلم والسامع معًا"(51)، وهذه الشروط والمطالب لا غنى عنها للانخراط في الفعل التواصلي بغية التفاهم للوصول إلى الاتفاق بين أفراد المجتمع.

وفي ختام تناولنا مفهوم التفاهم أساسًا للتواصل وعلاقته بالعقلانية التواصلية، يصبح من الضروري الانتقال إلى استكشاف العالم المعيش بوصفه الإطار الذي يتجسد فيه النشاط التفاعلي ويتحقق فيه الفهم البيتذاتي.

(49) Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, Op. Cit, P. 107

(50) حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص 126.

(51) فيصل عباس، الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة بروميتوس مشيد الحضارة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص707.

رابعًا: التواصل والعالم المعيش:

لتعزيز الفهم النظري للنشاط التواصلي، أدخل هابرماس مفهوم العالم المعيش، الذي يمثل البيئة الطبيعية التي تزود الفعل التواصلي بمادته الأساسية، حيث يوفر العالم المعيش اللغة المادية الضرورية لقيام التواصل، إذ لا يمكن أن يحدث التفاهم إلا ضمن حدود هذا العالم الذي يمثل الوسيط الملائم الذي تتفاعل فيه الذوات البشرية، التي تتضامن من أجل تحقيق هدف مشترك يتمثل في البحث عن الحقيقة، بهذا المعنى يشكل العالم المعيش الإطار الذي تنبثق منه العمليات التواصلية وتُمارَس فيه أصالتها[52].

انطلاقًا من ذلك فإن العالم المعيش عند هابرماس يشكل الأساس الذي تستمد منه نظرية الفعل التواصلي شرعيتها، فهو يمثل عملية التفاهم بين الذوات مكملاً بذلك للعقل التواصلي، فالعالم المعيش يعد الخلفية التي يعتمد عليها النشاط التواصلي في تكوينه[53]، إذ يوفر السياق الذي تستند عليه عمليات التفاهم ويغذيها بموارده، كما يعد الأفق الذي يجمع البداهات الثقافية والمخزون الذي يفيد منه المشاركون في عملية التواصل، وبناء على ذلك يمكن القول: إن العالم المعيش يشكل القاعدة التي يقوم عليها الفعل التواصلي من جهة، كما يسهم الفعل التواصلي في تعزيز بنية العالم المعيش وتطويره في الوقت ذاته من جهة أخرى.

لذا ينبغي أن ترتبط نظرية الفعل التواصلي بهدف أساس، هو عقلنة العالم المعيش، وبما أنه كيان متغير بطبيعته، فإن الفعل التواصلي بدوره يتسم بالديناميكية والتغير، تبعًا لبنية المجتمع ومتغيراته، ومن ثَمَّ فإن الفاعلية التواصلية تُمارِس وجودها داخل العالم المعيش، وتعمل على خدمته يتضح هذا في قول هابرماس: "الممارسة التواصلية الجارية تدخل في سياق عالم معيش يحدد من خلال التقاليد الثقافية والتنظيمات المشروعة والأفراد المندمجين اجتماعيًّا، فالأعمال التأويلية تعيش على رأسمالي اجتماعي داخل العالم المعيش" [54].

إذن فإن مفهوم العالم المعيش ليس ابتكارًا جديدًا لهابرماس، بل يمتد أصله إلى الفلسفة الأوروبية خاصة في أفكار هوسرل وفدجنشين، ومع ذلك يرى هابرماس أن مقارباتهما افتقرت إلى هدف منهجي واضح مقارنة بمفهومه الذي وظفه في إطار بحث تداولي وشكلي يركز على بناءات العالم المعيش، ويظهر ذلك جليًّا في محاولته الكشف عن الثوابت الكامنة وسط المتغيرات المستمرة التي طرأت على بنى العالم المعيش وأشكال الحياة.

ويمكن ربط فكرة عقلنة العالم المعيش عند هابرماس بالجزء الثاني من كتابه "نظرية الفعل التواصلي"، حيث يبرز هذا المفهوم بوصفه عنصرًا مكملًا لمفهوم الفعل التواصلي، نظرًا لارتباطه الوثيق بالبنية الاجتماعية وسياق الفعل الاجتماعي، وبذلك يقدم هابرماس رؤية متكاملة تجمع بين الفعل التواصلي والحياة الاجتماعية المعيشة، مبررًا الطابع الواقعي لهذه النظرية.

([52]) يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص 525.

([53]) محمد نور الدين أقاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس نموذجًا، مرجع سابق، ص 189.

(54) Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, P. 192.

ويصبح العالم المعيش، وفقًا لهابرماس، الإطار الواقعي الذي يجد فيه الإنسان مبررات وجوده ويعيش وسط محيط اجتماعي غني بالجوانب المؤثرة، إنه فضاء تفاعلي يندمج فيه الإنسان مع الآخرين، يشاركهم تجربته المعيشة، ويؤسس معهم علاقات قائمة على أسس اجتماعية وثقافية مشتركة.

وفي الحديث عن العالم المعيش، ينتقل النقاش من العقل التواصلي المنظم بواسطة التداوليات الصورية، التي تؤسس الخطاب البرهاني بهدف البحث عن الشروط الممكنة للتفاهم، إلى النشاط التواصلي الذي يسعى لتحقيق التفاهم بوصفه أساسًا لوضع شروط أي مجتمع تواصلي، وبهذا يصبح التفكير التواصلي المرتكز على العقل البرهاني في جوهره تفكيراً بماهية المجتمع.

وبناء على ذلك كله فإن آليات التفاهم تتجه نحو دراسة الممارسات اليومية في إطار العالم المعيش، حيث "تمثل الأفعال التواصلية نسيجاً يغذي مكونات العالم المعيش، وتشكل وساطة يتم من خلالها إعادة إنتاج أشكال الحياة الملموسة" [55]، وقد أكد **هابرماس** هذا الارتباط العميق بين الفعل التواصلي والعالم المعيش في قوله: "إن أشكال الحياة العينيّة هي التي تعوض الوعي المتعالي الموحد، وعبر البديهيات التي تفرضها الثقافة، وعبر أشكال تضامن الجماعة، وعبر كفاءات الأفراد المندمجين اجتماعيًا، فإن العقل الذي يعبر عن نفسه في الفعل التواصلي يقوم بالوساطة مع التقاليد والممارسات الاجتماعية، ومركبات التجارب المرتبطة بالجسد، والتي تذوب في مجموعها في كلية خاصة" [56].

يتبين من كلام هابرماس السابق أن تحقيق عقلانية تنويرية وحديثة في أرقى صورها يعتمد بشكل أساس على ترقية العوالم المعيشة الثلاثة: الثقافة، والمجتمع، والشخصية.

ففي مجال الثقافة: يهدف إلى تعزيز التأمل والتفكير العقلاني في الحياة الثقافية، وفي مجال المجتمع: يسعي نحو تحقيق معيارية كونية تطبق على المجتمع، مما يؤدي إلى بناء مهارات فردية تسهم في النضج الشخصي، بينما يعمل مجال الشخصية: على تنشئة اجتماعية مولدة للمهارات الفردية تساعد على النضج الشخصي، وهو ما يعني أنه يجب تجاوز الوعي الزائف ثم المفتت والمجزأ، لنصل إلى للحديث عن وعي جماعي تواصلي برهاني بمعيارية كونية.

استنادًا إلى ما سبق يرى هابرماس أن العالم المعيش يرتبط بثلاثة مكونات أساسية يطلق عليها "المكونات البنيوية للعالم المعيش"، ويذهب إلى أن مساهمة الفعل التواصلي في بناء هذا العالم يمكن تتبعها عبر تحديد الوظائف الأساسية الثلاثة التي يؤديها الفعل التواصلي ضمن هذه المكونات أو البنى.

فمصطلح الثقافة عند هابرماس يمثل المعرفة المتاحة التي يستمد منها النشاط التواصلي تفسيرات تفترض توافقها في السعي نحو التفاهم حول مسائل معينة تتعلق بالعالم، وفي هذا السياق تكون الثقافة بمثابة المخزون المعرفي الذي يتوفر للمشاركين في عملية التواصل ويستخدمونه لتأويل مفاهيم أثناء التفاهم حول مواضيع تنتمي إلى العالم المشترك[57].

وفي الإطار نفسه يسهم النشاط التواصلي إلى جانب الثقافة في تنسيق الأفعال وتنظيم أساليب الحوار

(55) Jurgen Habermas: Le discours philosophique de la modemite, P. 37.
(56)Ibid., p 386.

(57)يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، 524.

والنقاش بين أفراد المجتمع، وقد وصف هابرماس المجتمع في إطار ضيق على أنه النظام الذي يستمد منه الشرعية، حيث يحصل المشاركون في التواصل على تضامنهم من خلال الانتماءات الفئوية التي تخلق روابط بين الذوات،[58] وبذلك فإن المجتمع يمثل الأنظمة المشروعة التي تُنظِم عبر الجماعات انتماءاتها، مما يؤدي إلى تكوين تضامن اجتماعي مشترك يتم من خلاله التواصل والتفاعل الفعال[59].

ويشير مصطلح (الشخصية) عند هابرماس إلى الكفاءات التي تكتسبها الذات، وعن طريقها تنمي ملكاتها في الكلام والعمل، ومن ثَمَّ فإن المشاركة في سيرورات التفاهم تكون في سياقات تختلف من مرة إلى أخرى، كما أن الكفاءات تتيح للذات تأكيد هويتها الخاصة في ظل شروط تبادل اجتماعي متنوع، حيث تمنح الفرد القدرة على الكلام والفعل، وهو ما يعني أن المشاركة في عمليات التفاهم تعزز من تأكيد هويته في سياقات تبادلية متعددة[60].

إذ إن التداخل بين الذوات والتفاعل المتبادل في إطار الممارسة التواصلية يسهم في إعادة انتاج عناصر العالم المعيش واستمرارها المتمثلة في الثقافة والمجتمع والشخصية، يتضح هذا في قول هابرماس: "إن هذا العالم المعاش المفسر بيتذاتيا يشكل جوهر النشاط التواصلي ... كأنه ... أفق يتحرك في واحد معًا المشاركون في التواصل عندما يستندون موضوعيًّا إلى شيء ما في العالم" [61].

وفي ما يتعلق بدور العقلانية فلا يمكن تجاهل دورها في بناء المجتمع وتوفير حياة مرفهة للإنسان، لكنها تظل غير كافية لتلبية احتياجات الإنسان الأخلاقية والثقافية والاجتماعية، حيث تأتي العقلانية التواصلية لتتولى المسؤولية عن تلك المشكلات التي تعرقل تطور الإنسان، وبالنظر إلى هابرماس، فإن كلاً من: العقلانية الأداتية والتواصلية يسهمان في عقلنة العالم المعيش، فالأولى تعني بإعادة الإنتاج المادي عبر النشاط الأدائي، في حين تتصل الثانية بالإنتاج الرمزي الذي يقوم به النشاط التواصلي، ومن هنا يمكن القول إن كلًا من العقلانيتين الأدائيين والتواصليين، لهما دور بالغ الأثر في تطوير نظرية المجتمع والسير نحو عقلنة هذا العالم المعيش.

خامساً: مستويات النشاط التواصلي:

إذا كان التواصل يعرف بأنه: "كل كلام دقيق يحمل رسالة ضمن نظام من الإشارات"، فإن ذلك يعني أن هناك مستويات متعددة للنشاط التواصلي، تتعلق بالعلاقات المتبادلة في النشاط الاجتماعي والاندماج الاجتماعي.

وقد درس هابرماس هذه العلاقة بشكل مفصل مع التركيز على التفريق بين التواصل النقدي والتواصل العفوي، وناقش الفروقات بين النشاط التواصلي والنشاط الاستراتيجي، حيث تظهر الفوارق في تفاصيل دقيقة، يقول: "إني اعتبر النشاط التواصلي والنشاط الاستراتيجي نوعين من النشاط الاجتماعي، وهما يمثلان اختيارات بديلة في منظور الأفراد

(58)المصدر نفسه، ص 525.

(59)محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة هابرماس انموذجًا، مرجع سابق، ص 189.

(60)يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص 525.

([61]) يورغن هابرماس، العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 46، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1987، ص 22.

الفاعلين، إذ يمتلك المشاركون في التفاعل بدرجة معينة، قدرة على التمييز بين الموقف الذي يتطلب الاستعداد الفهمي وبين السعي لتحقيق النجاح الشخصي" (62). ومن ثمَّ فإن التحليل وحده هو الذي يسمح بتحديد الفروق بين بنيات النشاط الاستراتيجي وبنيات النشاط التواصلي.

من هذا المنطلق، يوضح هابرماس أن النشاط التواصلي يركز على تحقيق التفاهم المتبادل بين الأطراف، بينما يهدف النشاط الاستراتيجي إلى تحقيق مكاسب فردية ويبرز الفروق بين تفاعلات تعاونية تهدف إلى التفاهم ونشاطات تنظم بهدف تحقيق مصالح خاصة.

يتضح من التحليل السابق أن الفهم العميق لطبيعة الفعل الاجتماعي عند هابرماس يستدعي استيعاب مفهوم العالم الاجتماعي، بما يشمله من أبعاد ثقافية واجتماعية ولغوية وتراثية، ولإدراج هذه العناصر يسعى هابرماس إلى تجاوز القصور الذي شاب النظريات السابقة، حيث يقول: "لقد طورت مفهوم الفعل التواصلي والعالم المعيش من سياق المناقشات السوسيولوجية" [63].

بمعنى أن نظرية الفعل التواصلي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعالم المعيش، حيث يشكل هذا الأخير السياق الذي يتم فيه عملية التفاهم والتواصل والحوار بين الذوات، كما "تستمد نظرية الفعل التواصلي شرعيتها من العالم المعيش بوصفه الأفق الذي تتحرك فيه أفعال التواصل"[64]. وبذلك يشكل العالم المعيش البيئة الحاضنة التي تستند إليها أفعال التفاهم الاجتماعي، مما يجعله عنصرًا أساسيًّا لفهم ديناميكيات الفعل التواصلي في مشروع هابرماس الفلسفي.

ويرى هابرماس إن العالم الحديث ظهر إلى الوجود تحت تأثير الرأسمالية الاستغلالية التي انفصلت عن حياة البشر التواصلية، فالمجتمع الحديث لم يتأسس نتيجة التوافق القائم على اللغة والتفاعل في عالم الحياة، بل استند إلى أنظمة الإعلام والمال والسلطة، وهي ما يطلق عليه هابرماس (استعمار العالم المعيش).

كما يرى هابرماس أن العالم الحديث يمتلك الإمكانيات اللازمة لتحقيق عقلنة شاملة في مجالي النظام وعالم الحياة، ولكن الواقع يشهد عكس ذلك، حيث يهيمن عالم النظام على العالم المعيش ويستمد قوته منه، مما يؤدي إلى اختلال التوازن بينهما، وهذا يجعل التفكير في بدائل حقيقية أمرًا عسيرًا على البشر، بل ويعزز الاعتقاد بأن الحياة الاجتماعية أصبحت غير مستقلة عن متطلبات السوق وضغوطه.

فالحياة الاجتماعية الحديثة كما وصفها هابرماس، ليست سوى "ضرب من شد الحبل بين النظام وعالم الحياة، حيث غالبًا ما يوقع النظام الخلل في عالم الحياة ويتفوق عليها" [65] أي أن هناك صراعا مستمرا بين النظام وعالم الحياة، ولحل هذه الإشكالية وخلق توازن بين النظامين يبرز دور العقلانية التواصلية بوصفها قوة قادرة على مواجهة هيمنة العقلانية الأدائية.

(62) Jurgen Habermas: Logques des sciences sociales, Op. Cit., P. 435.
(63) Ibid, P.436.
(64) إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار السامي، بيروت، 2012، ص 267.
(65) ألن هاو، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، تر: ثائر ذيب، دار العين للنشر، القاهرة، 2010، ص 194.

وهنا يتجلى تميز هابرماس عن أسلافه، إذ أظهر فهمًا أعمق وأدوات أكثر فاعلية، مستندًا إلى اللغة والفعل واعتماده على العقل بوصفه موضوعًا محوريًا للفلسفة ومن ثم للتواصل، ويرى هابرماس أن هذه الأدوات بما تحمله من قدرة على التفاهم والحوار تعد أساسًا لإيقاف هذه الهيمنة الأدائية وإعادة بناء العلاقة بين النظام وعالم الحياة، ويؤكد في كتابه نظرية الفعل التواصلي إن "العقلانية سواء أكانت في مستوى الآراء أو في مستوى الأفعال تشكل مبحثًا تقليديًا للفلسفة، بل يمكننا القول أن التفكير الفلسفي يستمد مرجعيته الوجودية من السيرورة التأملية للعقل المندمج في عملية المعرفة في الكلمة وفي الفعل أيضاً حتى يصير هذا العقل المبحث الرئيس والمحوري للفلسفة" (66).

إن هابرماس، بكلامه السابق، يضع العقلانية التواصلية في صدارة الأدوات الفعالة لتحقيق التوازن بين النظام وعالم الحياة، مستعيدًا مركزية العقل بوصفها وسيطًا للحوار والتفاهم في عالم تتزايد فيه سيطرة الأنظمة الأدائية.

ورغم التمايز الواضح الذي وضعه هابرماس بين علم الحياة وعالم النظام، فإن هذا التصور لم يسلم من النقد والاعتراضات، وأبرزها تلك التي قدمها اكسل هونيت أحد تلامذته، حيث ركز انتقاداته على رؤية هابرماس المثالية لعالم الحياة والنظرة السلبية لعالم النظام، ورأى أن هابرماس يصور عالم الحياة بوصفه فضاء تواصليًا مثاليًا خاليًا من السلطة، تتحقق فيه التوافقات من خلال (الوضع الكلامي المثالي)، بينما يُختزَل دور النظام بكونه استعماريًا يخضع البشر لسلطانه.

وبحسب "هونيت"، فإن هذه الرؤية مبالغ فيها وغير دقيقة، إذ يرى أن السلطة ليست بالضرورة سلبية كما يعتقد هابرماس، فالسلطة قد تكون جزءًا من عالم الحياة ذاته، حيث تفرض نفسها على الفاعلين بطرق غير مباشرة، وقد استشهد "هونيت بفرويد"، الذي أكد أن اللاوعي يُمارِس سلطة على الوعي ويشكل الأفكار دون إرادة منا، مما يعني أن السلطة ليست مقصورة على عالم النظام فقط.

وعلى الرغم من هذه الانتقادات فإن هابرماس لا ينكر التداخل والتشابك بين النظامين، فهو يؤكد أن عالم الحياة هو أساس المجتمع، ويمكن إعادة بنائه وتجديده بشكل مستمر، مما يعكس مرونته وقدرته على مواجهة تحديات النظام، ومع ذلك يبقى النقد الذي قدمه هونيت تحديًا جوهريًا لرؤية هابرماس المثالية، خصوصًا فيما يتعلق بتعقيدات العلاقة بين السلطة والتواصل في كلا العالمين.

علاوة على ذلك، فإن مفهوم العقل عند هابرماس ليس جوهريًا أو ثابتًا، بل يتجاوز العقلانية الغربية التقليدية التي ركزت على العقل بوصفه أداة لتحقيق المصالح والغايات الفردية، فعقل هابرماس عقل إبداعي وخلاق، ينبني على مساهمات جميع العقول البشرية المشتركة، مما يجعله متعدد المعايير وغير محصور في نموذج واحد.

وليس عقلًا مجردًا أو نظريًا بل هو متجذر في الفضاء العام، حيث يشارك الأفراد فيه بشكل

(66) Jurgen Habermas: Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, p.p. 17-18.

جماعي، متخليين عن مصالحهم الذاتية لصالح المصلحة العامة، وبهذا المفهوم يصبح العقل أداة للتواصل والتفاهم الذي يعزز التضامن الاجتماعي ووضع أسسًا جديدة للتفاعل البشري بعيدًا عن منطق الهيمنة الفردية أو المادية.

بما سبق نخلص إلى القول بأن هابرماس أعطى للغة دورًا كبيرًا في نظرية الفعل التواصلي، إذ يراها وسيلة أساسية لتحقيق التفاهم بين الأفراد في العالم المعيش، وهذا ما أكدته النظرية التداولية بأن التواصل يعتمد على التفاهم المتبادل عن طريق الحوار العقلاني، مما يسهم في عقلنة الفعل التواصلي.

وميز هابرماس بين "عالم الحياة"الذي يتمحور حول التفاعل الثقافي والاجتماعي، و"عالم النظام" الذي يتشكل من الهياكل الاقتصادية والسياسية، ومن ثَمَّ فإن الفعل التواصلي يسعى إلى تحقيق التوازن بين هذين العالمين، حيث يسهم العقل التواصلي في تفعيل التفاهم، ويقلل من الهيمنة التي يمارسها عالم النظام.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذا العرض التحليلي للأسس النظرية والفلسفية التي بُنِي عليها مفهوم الفعل التواصلي في فكر يورغن هابرماس، يتضح أن مشروع هابرماس لا ينفصل عن سياق نقد الحداثة، بل يعد محاولة لإعادة بنائها على أسس عقلانية بديلة، تقوم على الحوار والتفاهم بدلًا من السيطرة والأداتية، وفيه مثلت "نظرية الفعل التواصلي" استجابة فلسفية معمقة لأزمات العقل الغربي، من خلال إعادة الاعتبار للغة بوصفها وسيلة لتحقيق الفهم المتبادل، والفضاء العمومي بوصفة المجال الحيوي للتواصل العقلاني في المجتمع.

وقد أظهر هذا البحث أن هابرماس لم يقف عند حدود التأمل الفلسفي المجرد، بل قدم تصورًا عمليًّا لعقلانية تواصلية تؤسس لبنية اجتماعية ديمقراطية قائمة على الاعتراف المتبادل بين الأفراد، وقد تجلى ذلك في توظيفه لمفاهيم مثل العالم المعيش، الفعل الاستراتيجي، والتفاهم البيتذاتي، وربطها بمجالات السياسة والأخلاق والمجتمع المدني.

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

1- يعد الفعل التواصلي عند هابرماس أكثر من مجرد نموذج للتفاعل اللغوي، بل هو رؤية فلسفية شاملة تسعى إلى إعادة بناء العقلانية على أسس التفاهم والحوار، حيث يتجاوز هابرماس النظرة التقليدية التي تقتصر على الفعل أداة لتحقيق أهداف فردية، ليقدم فهماً أعمق يربط بين اللغة والتفاهم والوعي الجماعي، مما يعزز إمكانيات التغيير الاجتماعي عبر التواصل العقلاني بين الافراد.

2- نجح هابرماس في دمج الفلسفة التحليلية خصوصًا نظرية أفعال الكلام، مع النظرية الاجتماعية النقدية، مما أتاح له تأسيس مفهوم للعقلانية يتجاوز النزعة التقنية والأداتية السائدة. هذا المد مكنه من تطوير إطار نظري يعزز فهم العلاقات الاجتماعية وعملية التفاعل الإنساني، ويقدم نقداً معمقًا للممارسات الاجتماعية السائدة.

3- يشكل العالم المعيش الإطار المفهومي والاجتماعي الذي يتجسد فيه الفعل التواصلي، حيث يمثل المرجع الأساسي للمعنى والثقافة والقيم المشتركة بين الأفراد. ومن خلال هذا المفهوم، يؤكد هابرماس على أن التفاعل الاجتماعي لا يحدث في فراغ، بل ضمن شبكة من المعاني والمؤسسات التي تحكم الحوار والتفاهم.

4- يعد التمييز بين الفعل التواصلي والفعل الاستراتيجي من الركائز النظرية الحاسمة في

مشروع هابرماس، إذ يوضح هذا التمييز الفرق بين التواصل الهادف إلى التفاهم المشترك، والتواصل الذي يستخدم كوسيلة لتحقيق أهداف فردية أو سلطوية، مما يتيح فهمًا أعمق للعلاقات الاجتماعية ومفهوم النظام.

5- تسهم نظرية الفعل التواصلي في بناء نموذج عقلاني نقدي حديث يعزز أسس الديمقراطية والحوار، ويعيد الاعتبار للفلسفة أداة فعالة للتغيير المجتمعي من خلال توفير فضاءات عامة تتيح المشاركة الفعالة في صنع القرار، وتحقيق مزيد من العدالة والتفاهم في المجتمعات الحديثة.

التوصيات المستقبلية

يُوصى بتعزيز الدراسات التطبيقية لنظرية الفعل التواصلي في السياقات المجتمعية المختلفة، خصوصًا في الحوارات السياسية والاجتماعية في الدول العربية، لفهم كيفية تعزيز التواصل والحوار الديمقراطي بين مختلف الفئات المجتمعية.

1- ضرورة التوسع في دمج نظرية الفعل التواصلي مع العلوم الأخرى مثل علم النفس الاجتماعي، الاتصالات وعلم الاجتماع، يهدف تطوير فهم أعمق لآليات التواصل وتأثيرها في بناء النظم الاجتماعية والسياسية.

2- أهمية تطوير أدوات ومؤشرات منهجية لقياس الفعل التواصلي وتأثيره في الفضاءات العامة الحديثة، خاصة مع التحديات التي تفرضها التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي على نوعية الحوار.

3- الدعوة إلى إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول التحديات المعاصرة التي تواجه الفعل التواصلي في العصر الرقمي، مثل انتشار المعلومات المغلوطة والخطاب العدائي، وتأثير ذلك على البناء الديمقراطي والحوار المجتمعي.

4- ترسيخ دور الفعل التواصلي في تعزيز الثقافة الديمقراطية والتعليم، من خلال إدراج مفاهيمه في المناهج التعليمية والسياسات الثقافية، لتعزيز الوعي بأهمية الحوار والتفاهم كأساس للعلاقات الاجتماعية السليمة والبناءة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية.

[1] إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار السامي، ط (1)، بيروت، 2012م.

[2] أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2012م.

[3] ألن هاو، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، تر: ثائر ذيب، دار العين للنشر، ط (1)، القاهرة، 2010م.

[4] أوديته سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس، مذكرة ماجستير إشراف، لخضير مذبوح، جامعة منتوري، الجزائر، السنة الجامعية 2008م.

[5] بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليونوجيا، تر: رحيم فلاح، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط (1)، بيروت، 2002م.

[6] توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، مراجعة، محمد حافظ دياب، دار أوروبا للنشر، ط (2)، ليبيا، 1998م.

[7] جان فرانسوا دورتي، فلسفات عصرنا، تر: إبراهيم الصحراوي، منشورات الاختلاف، ط (1)، الجزائر، 2009م،

[8] جون نيتشة، خمسون مفكرًا معاصراً، ترجمة: فاتن البستاني، بيت النهضة، لبنان، ط (1)، 2008م.

[9] حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي الغربي، المغرب، ط (1)، 2005م.

[10] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، دار الطباعة والنشر، ط (1)، بيروت – لبنان، 2005م.
[11] عبد العزيز العبادي، فلسفة الفعل، دار علاء الدين، ط (1)، صفاقص، 2007م.
[12] عطيات أبو السعود، حصاد الفلسفة للقرن العشرين، بحوث فلسفية أخرى، منشأة المعارف، مصر، 2022م.
[13] عطيات أبو السعود، نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس، مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، القاهرة، 2004م.
[14] عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف، بيروت، ط (1)، 2007م.
[15] فيصل عباس، الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة بروميتوس مشيد الحضارة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط (1)، 2005م.
[16] كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماركس هوركهايمر إلى اكسيل هونيت، الدار العربية للعلوم، الناشرون دار الأمانة، الرياض، ط (1)، 2010م
[17] محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، الدار العربية للأبحاث والنشر، ط (1)، بيروت، 2010م.
[18] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط (2)، 1998م.
[19] محمود سيد أحمد، البراجماتيقا عند هابرماس، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993م.
[20] مطاع الصفدي، مغامرة الاختلاف الحادثة (2): التداولي، التواصلي من الفكر العربي المعاصر، مجلة شهرية، تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، العدد 46، 1987م.
[21] يورغن هايرماس، الحداثة وخطابها السياسي ترجمة: جورج تامر، دار النهار للنشر، بيروت، 2002م.
[22] يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، ترجمة: فريد الزاهي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2006م.
[23] يورغن هابرماس، التقنية والعلم كإيدلوجيا، ترجمة: الياس حاجوج، وزارة الثقافة، دمشق، ط (1)، 1999م.
[24] يورغن هابرماس، العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل في أربعة مفاهيم سوسيولوجية للفعل، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 46، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1987م.
[25] يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة البشرية، ترجمة: فريد الزاهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 206م.
[26] يورغن هايرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة دمشق، (بدون ط)، 1995م.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية:

[1] Jurgen Habermas: Le discours philosophique de la modemite Douze Conferences Traduit Par christain bouchindhome, et rainer rochiltz, Paris, Editions galimard, 1988.
[2] Jurgen Habermas: logique des Sciences Sociales et Dutres essais Trad. Rainer Rochlitz, Puf Géme edition, Paris, 1998.
[3] Scarlc, Speesh Acs, An Essay in the philosophy of language, Comberide Univ. press, 1969.
[4] Jurgen Habermas: Communication and the Evolution of Society, Translated by Thomas McCarthy, Boston, Boston press, 1979.
[5] Jurgen Habermas, Theory of communicative Action, Volume. (1), Reason and the Rationalization of Society, Translated by Thomas McCarthy, Boston Press, 1984.